
الرد على من زعم أن معرفة المعنى
في
الصفات الإلهية يقتضي التكييف
صفة اليد مثالًا
أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية






د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

غفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِديهِ وَلِمَشَايخهِ ولِلْمُسْلِمينْ

**هذا التفريغ لم يُراجَع مِن قِبَل الشيخ حفظه الله**


بسم الله الرحمن الرحيم

## الرد على من زعم
## أن معرفة المعنى في الصفات الإلهية يقتضي التكييف

الحمد لله على عظيم آلائه، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم أنبيائه، وعلى آله وصحبه صفوة أوليائه، أما بعد:

فهذا مقتطف من شرح حائية ابن أبي داود أجاب فيه الشيخ: أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي عن زعم أن معرفة المعنى في الصفات الإلهية يقتضي التكييف، وكان ذلك في (المجلس الثاني)، الذي أقيم في مدينة الدمام بجامع الأميرة العنود رَحِمَهَا ٱللَّهُ يوم الخميس ٣ ربيع الأول ١٤٤٤ هجري بعد صلاة المغرب.

**قال الشيخ وفقه الله:**

وأُريد أن أقف وقفة مع نفي المعطلة لصفة اليد؛ لتكون مناقشة هذا الموقف مثالًا يُحتذى في بقية الصفات التي أنكروها، سواء ما يذكره المؤلف أو الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو ما لا يذكره، فشُبَه المتكلمين في الغالب متكرّرة، والجوابُ عن واحدٍ من مواقفهم أو في تأويلٍ من تأويلاتهم ربما يصلح أن يُعتمد في مواقف أو صفات أو تأويلات أخرى.

واليوم -يا إخوتاه- البحث في تقرير الصفات على نهج أهل السنة والجماعة ليس من قَبيل الترف العلمي، حذارِ أن يتسلل إليك هذا التوهم، اليوم الصراع على أشُدِّه بين أهل السنة والجماعة والجهمية، تدري مَن هؤلاء الجهمية؟

هؤلاء هم المعطلة! هؤلاء الذين خاضوا في صفات الله ﷻ بالباطل! هؤلاء الذين تكلموا في الله ﷻ بما لا يحِل!

والمؤمن الصادق عنده غيرة على حرمات الله ﷻ، لا يقبل ولا يحتمل أن يخوض أحدهم بالباطل في شيء يتعلق بالله ﷻ، فشأن الله ﷻ في نفسه أعظم، المؤمن إذا رأى منكرًا من المنكرات المتعلقة بالأمور العملية فإنه يغضب لله ﷻ؛ لأن شأن الله ﷻ أعظم؛ شأنه أن يُذكر فلا يُنسى، وأن يطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، فكيف بما تعلق به ﷻ، أيّ منكر أعظم من هذا؟! فعلى المؤمن أن يكون من أنصار الله، هؤلاء فيهم من عداوة الله بقدر ما فيهم من الخوض بالباطل والقول على الله ﷻ بغير علم.

وهذا الأمر -كما قدَّمتُ- ليس أمرًا ماضيًا قد انقضى وانتهى وأُهيلَت عليه الأتربة، لا والله؛ الأمر موجود، وهناك دعوى تجديدية للتجهّم والتعطيل، وأصحابها ينشطون على قدَم وساق لنشر هذا الضلال والبهتان في أوساط المسلمين، وقد تأثر بهم من تأثر ممَّن كان على جادة السنة، والسبب أنه تساهل وما تسلَّح؛ فجاءته الشبهة ثم الشبهة ثم الشبهة فسقط صريعًا وما احتمل، والسبب أنه ما تسلح بالحُجج والبراهين، فصار من جملة هؤلاء المعطلة.

والمقام عظيم يا إخوتاه، السلف مُجمعون على مقالة نُعيم بن حمَّاد: **«مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ»**(١)، أَمِثْلُ هذا مما يتساهل فيه؟ المقام مقام إيمان، مقام تصديق، واجبٌ عليك وجوبًا بحكم إسلامك أن تصدِّق وتسلِّم لكل ما جاء في النصوص، ومما جاء في النصوص بل من أعظم ما جاء في النصوص ما يتعلق بصفات الله ﷻ، فواجبٌ عليك -يا عبد الله- أن تسلِّم

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٤٢٧) ط. دار طيبة للنشر والتوزيع.

بذلك وتصدِّق، وألَّا تفتري على الله الكذب، وألَّا تقول على الله بغير علم، وألَّا تكون حكَمًا على الله؛ الله يصف نفسه بصفة، فتأتي أنت بكل جُرأة فتقول: «لا يا رب! هذا لا يَلِيق بك، هذه الصفة ما تَليق بك، هذا تقتضي التجسيم، والتجسيم يقتضي التشبيه، هذا ينبغي تنزيهك عنه»، سبحان ربي العظيم! ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:١٤٠]؟ أنتم أعلم بالله من رسول الله ﷺ؟ أين رسول الله ﷺ ما نزَّه ربه من تنزيهكم وهو يتحدث بأحاديث الصفات ويكررها! ويتلو على أصحابه كلام الله ﷻ ولا يُنبّههم ولا مرة واحدة! يتلو عليهم آياتٍ فيها إثبات اليد، فيها إثبات الوجه، وفيها إثبات أنَّ الله يحب، وفيها إثبات أنَّ الله يبغض، وفيها إثبات أن الله يأتي، وفيها إثبات أنَّ الله يجيء، وفيها إثبات أنَّ الله يستوي، وفيها إثبات أنَّ الله عالٍ على خلقه، في نصوص كثيرة، ثم هو يحدِّث أصحابه ﵃ بكلامه الذي أوحاه الله إليه أيضًا، لكنه وحي غير متلو، فيخبرهم في مواضع متكررة ومرات متعددة أنَّ الله ينزل إلى سمائه الدنيا، وأنَّ الله يضحك، وأنَّ الله له قدَم، وأنَّ الله له أصابع، في نصوص كثيرة، ثم يأتي آتٍ ويقول: «من اعتقد هذا الكلام على ظاهره وأن الله متصف حقيقة بهذه الصفات فقد جسَّم فشبَّه فكفَر»!

كيف رسول الله ﷺ يحدث بهذه الأحاديث ثم لا ينبّه على ما فيها من إيهام التشبيه، بل لِمَ يحدث أصلًا؟ أليس أعلم الخلق بالله! أليس أفصح الخلق وأقدرهم على بيان الحق البعيد عن أيّ الْتباس! أليس الرؤوف الرحيم بهذه الأمة! إذًا لماذا ما بيَّن ونصح وحذَّر؛ كما فعل هذا ﵇ في أشياء أخرى فيها خطورة على المسلمين، النبي ﷺ يكرر على أصحابه التحذير من الدجال، أكثر ﵇ من ذلك، وهو الذي بين

عينيه (كافر)، ومع ذلك يحذِّر النبي ﷺ من شفقته بهذه الأمة، إذًا أين هو ﷺ من تحذيره هذه الأمة عن أمرٍ يوقعهم في الكفر إذا كانت ظواهر النصوص كما يزعمون تقتضي الكفر؟ إذًا لماذا ﷺ ما نبَّه؟ بل لماذا تحدث أصلًا؟ لماذا ما ترك الناس على إيمانهم دون أن يخبرهم بأشياء توقعهم في حافة الهلاك؟ ثم هي نصوص مطلوب من الصغير والكبير والجاهل والعالِم والذكر والأنثى الكل مطلوب منه أن يتلو القرآن، وأن يتفقه ويقرأ أحاديث النبي ﷺ، ولا مرة واحدة يُنبّه ﷺ! أَهَذا ظنكم برسول الله؟

ثم أين الصحابة؟ الصحابة كانوا ينقلون ويتلون ويحدِّثون التابعين بما سمعوا من رسول الله ﷺ من آيات وأحاديث، يعقدون مجالس التحديث والإخبار، يعلِّمونهم يقولون: قال الله كذا، وقال رسوله ﷺ كذا، ولا حُفظ عن واحدٍ منهم في مرة واحدة أنه وقف عند آية أو حديث فحذَّر وقال: «ظاهر هذه النصوص يفيد التشبيه، انتبهوا، والتشبيه كفْر»، تعلمون صحابيًا واحدًا فعل هذا؟ والله ما حصل! يحدِّثونهم بآيات الصفات وأحاديث الصفات ولا مرة واحدة ما نبَّهوهم على أن ظاهرها يقتضي التشبيه، كما يدّعي الجهمية وأذنابهم؛ أنتم أغير على حرمات الله من السلف الصالح؟ أنتم أحرص على الخير والحق، وأنصح للأمة من صفوة الأمة، وأعظمها علمًا بالله وإيمانًا، وأبعدها عن الكُلفة وعن كل ما لا يليق بالاعتقاد والعمل؟ والله ما كنتم، ولا تكونون.

وأين التابعون الذين تلقوا عن الصحابة ما نبَّهوا تابعي التابعين؟ أليس أولئك أهل الخيرية من هذه الأمة بتزكية رسول الله ﷺ؟ أَمَا قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(٢)، كل أولئك انخرم عهدهم على مقتضى

(٢) صحيح البخاري (٢٦٥٢)، وصحيح مسلم (٢٥٣٣).



كلام أولئك وهم بين اعتقاد فاسد أو عمل فاسد؛ هذا لازمٌ لا مَحيد عنه بالنسبة لهؤلاء الجهمية، إما أنهم سكتوا عن اعتقاد السوء في الله ﷻ، وحملوا هذه النصوص على ظاهرها فضلوا بل وكفروا؛ لأنَّهم ما تكلموا بخلاف هذا مع وجود المقتضي للنصيحة والبيان ولا مرة واحدة، إذًا سكوتهم هذا دليل على أنهم يرضون ويقرون ويعتقدون ما دلت عليه ظواهر هذه النصوص، وإلا فإن الظن في مثل هذه الأحوال أن يُبيِّنوا، بدليل اجتهادكم أنتم يا معشر الجهمية في البيان والتحذير، لا يَدَع جهمي يؤلف تفسيرًا أو شرح أحاديث إلا ويحذِّر في كل موضع، «وهذا من النصوص نصوص الصفات التي لا يجوز حمْلها على ظاهرها، هذه النصوص ظاهرها يفيد التشبيه، في كل موضع، يجب إما أن نفوض أو نؤوّل»، دائمًا يبينوا هذا، ما يكتفون بموضع موضعين، لا، في كل موضع مهما تكرر، لماذا؟ يقولون: واجب النصيحة، ما نترك الناس يتخبطون في الجهل والضلال.

أنتم أحرص وأكثر حماس، وأشدّ شفقة على هذه الأمة من السلف الصالح؟ إذًا السلف الصالح إما كانوا يعتقدون السوء، أو أنهم اتصفوا بالسوء عمليًا فخانوا وكتموا! يعرفون أن ظواهر النصوص ليست على ظواهرها في زعمهم، ولكنهم تركوا الناس يضلُّون، هكذا يرغبون أن الناس يتخبطون في الضلال، فكتموا وما بيّنوا ولا نصحوا لسُوء طَوِيَّتهم، وما في قلوبهم من بُغض للمسلمين وإرادةٍ لضلالهم.

أَيَظُنُّ أحد من المسلمين -يا إخوتاه- هذا في أصحاب رسول الله ﷺ وفي التابعين وفي أتباعهم؟ إذًا ما هي الخيرية التي وُصفوا بها إذا كانوا على هذا السوء! إما اعتقاد باطل، وإما عمل باطل، وسُوء طَوِيَّة.

إذًا هذا نظر عام -يا إخوتاه- يبين لك فساد المنهج والمسلك الذي سار عليه أولئك المعطلة الجهمية، وأنَّ الحق دون شك هو ما عليه السلف الصالح من حمل نصوص الصفات على ظاهرها اللائق بالله ﷻ، وأن هذه النصوص معلومة المعنى، ليست طلاسم ولا أحاجي، وليست كلامًا أعجيمًا مجهول المعنى، إنما هي كلامٌ معلوم المعنى.

أقول: مع عِلمهم بهذه المعاني، وأنها ليست من قَبيل الكلام الذي هو طلاسم لا يُعلم له معنى، بل نصوص الصفات معلومة من وجه، مجهولة من وجه؛ معلومةٌ من جهة معانيها في ضوء لغة العرب؛ لأن الوحي جاء بلسان عربي مبين، ومجهولةٌ من جهة الكيف والكُنْه والحقيقة، لِمَ؟ لأن الله غيب ما رأيناه ولا رأينا مثيلًا له حتى نعلم كيفية صفاته ﷻ، فوجب أن نسكت وأن نكُفّ، لا ندري، الله ﷻ له يدٌ؟ نعم، كيف هي؟ الله أعلم، لا يعلم هذا إلا هو سبحانه، الله ﷻ ينزل؟ نعم، الله ﷻ يستوي؟ نعم، لكن كيف ذلك؟ الله ﷻ أعلم، هذا مَرَدّ علمه إليه ﷻ.

**إذًا** هذا هو المسلك العالم الذي ينبغي اتباعه، والمسلك الذي ينبغي الحذر منه.

**نأتي الآن إلى مناقشة تفصيلية تتعلق بصفة اليد.**

**قال بعض الناس**: إثباتُ صفة اليد لله ﷻ يقتضي التجسيم؛ إذْ لا يتصف باليد إلا الأجسام، والأجسام متماثلة، فإذا كان الله ﷻ موصوفًا باليد اقتضى هذا التجسيم، اقتضى أن يكون الله جسمًا! -تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلوًا كبيرًا- وإذا كان جسمًا كان مشابهًا للمخلوقين، لأنهم قعَّدوا قاعدة، قالوا: (والأجسام متشابهة)، فإذا كان ثبوت القيد يقتضي التجسيم إذًا هذا يقتضي التشبيه، لو كانت اليد صفةً لله

لاقتضى هذا أن يكون مثل خلقه، يكون جسمًا، وبالتالي سيكون مثل خلْقه؛ وهذا ما يجب أن نُنزّه الله عنه، الله ليس كمثله شيء.

**طيب ماذا نصنع في نصوصٍ كثيرةٍ دلت على ثبوت اليد لله ﷻ؟**

**قالوا**: عندما مسلكان: إما أن نؤوّل، وإما أن نفوّض.

❍ **إما أن نقول**: هذه اليد معناها القدرة، أو معناها النعمة، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، اختَر ما تشاء، اعبث بالنصوص كما تحب، المهم ألّا تحملها على ظاهرها، قل: بل قُدرتاه، أو قل: بل نِعمتاه، وهكذا في بقية النصوص.

❍ **المسلك الثاني قالوا**: نفوّض؛ يعني نعتقد أن لهذا الكلام تأويلًا على خلاف الظاهر لكن لا يعلمه إلا الله، هذه النصوص مجهولة المعنى، إذا وصلتَ إليها عليك أن تغلق عقلك وعينك عن التفكر في معناها، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ما معنى اليد؟ لا أدري، هذه أقرأها ولا أعلم لها معنى، أفوّض العلم بالمعنى، مع اعتقادي أنها ليست يدًا حقيقة جزمًا، طيب ما معنى (يد)؟ ما أدري، الله أعلم بمراده.

وكلا المسلكين باطل!

**وهنا يُشغّب بعضهم فيقولون**: أنتم -يا معشر أهل السنة- قد وقعتم في التناقض؛ فقلتم: الصفات يُعلم معناها، ولا تُدرك كيفيتها، قال هؤلاء: لا يمكن، التكييف لازم للعلم بالمعنى، متى ما علمتَ المعنى وقلت المعنى هو كيت وكيت فقد وقعت في التكييف ولابد؛ فاليد مثلًا ما عرفتها العرب إلا أنَّها الجارحة التي يتصف بها الحيوان، إنسان أو غيره؛ فإذا قلتَ: الله ﷻ متصف باليد، وقلتَ: النصوص جاءت بلسان عربي مبين، وحملْتَ هذه النصوص على الظاهر، فاللازم من هذا

ولابد أنَّك تصف الله ﷻ بأنه متصف بهذا العضو، بهذه الجارحة؛ إذًا إما نفي العلم بالمعنى والكيفية، أو إثبات العلم بالمعنى والكيفية، أما أن تقول: نعلم المعنى ونجهل الكيفية، يقولون: هذا تناقض. فالتكييف والعلم بالمعنى أمران متلازمان.

**وهذا القول في غاية البطلان** ومخالف لِما أجمع عليه السلف، وينقضه أوجهٌ كثيرة، سأقتصر منها على عشرة أوجه، وإلا فالمقام يحتمل بسطًا ومناقشة أطول، لكن الوقت لا يسمح، ثم إنني أريد أن أسوق الكلام بأسلوب سهل حتى يُفهم.

❑ **الوجه الأول**: أساس البلاء عند القوم قضية التجسيم. ما هو هذا الجسم؟ عرِّفوا لنا هذا الجسم الذي أقمتم الدنيا وما أقعدتموها بناء على دعوى أنه ثابت إذا قامت الصفات بالله ﷻ ، لو كانت الصفات قائمة بها لكان جسمًا، حدِّدوا لنا وحقِّقوا لنا معنى هذا الجسم، **ولتعلم -يا رعاك الله- أن المتكلمين مختلفون اختلافًا طويلًا في معنى الجسم والمراد بالتجسيم، وليسوا في هذا على قولٍ واحد.**

**ونحن نقول لهم:**

✍ أتريدون بالجسم ما تعرفه العرب في لُغتها؛ من أنه هذا البدن أو هذا الجسد ذي اللحم والعظم والدم؟ وأنه لا يتصف بالصفات إلا هذا الجسم؟ نقول: هذا هو الجسم في لسان العرب، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:٤] ما يعرفون الجسم إلا هذا، أَتُريد هذا، وأنه لا يتصف بالصفات إلا هذا الجسم؟

إن قلتَ هذا فحقيقة أنت أضحكت العقلاء على عقلك؛ لأنه هلَّا يتصف بصفةٍ ما إلا ما هو هذا الجسد الكثيف؟ أو إن الجماد يتصف، وإنَّ أشياء كثيرة في هذا الكون تتصف بصفات وليست في الحقيقة بأجسام.

إذًا ليس بصحيح التأصيل الذي بنَوا عليه هذه الدنيا الكلامية وما أقعدوها.

✍ أما إن أردتم شيئًا آخر فهذا اصطلاح خاص بكم، لا تجعلوه حكَمًا على النصوص، يعني بعضهم يقول:

▤ الجسم ما يتصف بالصفات، وهذا في الحقيقة مشكلة؛ لأنهم يقولون: الجسم هو ما يتصف بالصفات، ثم يعودون فيقولون: والصفات لا تقوم إلا بالجسم، فهو وقَع في الدَّور، هو لا يعرف الجسم إلا ما قام به الصفات، ثم هو يقول: الصفات لا تقوم إلا في الجسم، وهذا في الحقيقة دَور، أنا أريد أن تحدد لي ما هو الجسم قبل البحث في ثبوت الصفات له أو عدمها؟

▤ بعضهم قال: الجسم هو ما يُشار إليه؛ فنقول: وأعلم الخلق بالله ﷻ قد أشار إليه، أَلَا وهو النبي ﷺ أشار إلى جهة العلو حيث ربُّه ﷻ، «**اللهمَّ فاشهَدْ**» ينكُتها على الصحابة، «**اللهمَّ فاشهَدْ**» إلى أيّ شيء يُشير وهو يستشهد ربه ﷻ؟ أليس قطعًا لأنَّ ربَّه في السماء؟ إذًا النبي ﷺ أشار إلى ربه، فإذا كنتم تعدُّون هذا تجسيمًا إذًا أنتم تتهمون رسول الله ﷺ بالتجسيم، وإذا كان هذا ما كان عليه رسول الله ﷺ فحيَّ هلًا بالتجسيم.

**والحقيقة** أنَّه بمقتضى قواعدهم فإنَّ القرآن والسنة مليئان بالتجسيم، وإذا كان هذا هو الذي دلت عليه النصوص فوالله نحن مُجسِّمة، إن كان الذي في القرآن والسنة تجسيمًا فنحن من هذا التجسيم لا نتفي.

❑ **الوجه الثاني** أن نقول لهم: العرب إنما أطلقت كلمة (اليد) على قدرٍ يشترك فيه أشياء كثيرة تختلف في حقائقها، فالتماثل ليس حاصلًا من هذا القدر المشترك،

إنَّما التماثل قدرٌ زائد على هذا الإطلاق. بمعنى: الصفة لها حكم موصوفها، والعقلاء يدركون أنَّ صفة كل موصوف تناسبُ ذاته وتلائم حقيقته، وعليه؛ فأنتَ إذا قلتَ «إنَّ للإنسان رِجلًا، وإنَّ للنملة رِجلًا، وإن للفيل رِجلًا»، هل يقول عاقل: إن هذه متماثلة؟ لا، ليست متماثلة، إنما صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، لا يقول عاقل قط: إنَّ رِجل النملة ورِجل الفيل متماثلتان لمجرد إطلاق رِجل ورجل هنا وهنا، إنما هناك قدْرٌ مشترك، ثم هناك بعد ذلك قدرٌ آخر وهو: الحقيقة والكُنْه والكيفية؛ وهذا قدر مختص تتميز به كل حقيقة بصفتها، ولا اشتراك ولا تماثل.

**تتمَّة لهذا الوجه أنا أقول: الإضافة تزيل توهّم التشبيه -انتبه لهذه القاعدة فهي مهمَّة-** أولًا نحن نقول: اليد تدل على معنى عام مشترك، فاليد آلة الفعل غالبًا، اليد هي التي تُقبض وتُبسط، ويُؤخذ بها، ويُطوَى بها، وتُهز، وتُبسط، إلى آخره، هذه هي اليد، لكن ما زاد على ذلك هذا قدرٌ يختص بمحل هذه الصفة، ونحن ما قلنا (يد) هكذا مطلقة حتى يُتوهَّم التشبيه، مع أنَّ كلمة (اليد) من حيث هي لا تقتضي تكييفًا، لكن لو سلَّمنا جدلًا نحن ما قلنا (يد) مطلقة، فضلًا عن أن يقول: إنَّ الله يدًا مثل يد الإنسان، هل قلنا هذا؟ نحن قلنا: إنَّ لله يدًا تَلِيق به، نحن نقول: هي يد الله، هاهُنا انتفى توهّم التشبيه، فالإضافة تُزيل توهّم التشبيه.

❑ **أضِفْ إلى هذا وجهًا ثالثًا:** وهو أنه قد جاء في النصوص ما يمتنع معه توهّم التشبيه، جاء في النصوص وصْفٌ لهذه اليد العظيمة بأمور لا يمكن مع الإيمان بها أن يحصل أدنى الْتباس أو توهّم التشبيه، الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧]، بالله

عليكم -يا معشر المتكلمين- أين وجدتم يدًا تقبض السماوات وتقبض الأرض؟ أين وجدتم هذا حتى تقولوا إنَّ إضافة اليد إلى الله ﷻ توهم مشابهة يد الإنسان؟ اليد موصوفة بصفات لا يمكن معها أن يحصل توهّم التشبيه، هذه يدٌ في غاية العظمة، ونحن ما رأينا مثيلًا لها، فكيف نتوهّم التشبيه! كيف التوهم هذا مع هذه اليد الضعيفة؟ هذا الكون كله ليس بشيء أمام عظمة الله ﷻ وعظمة يده، فكيف يُقال: إنه إذا قيل إن لله يدًا فهذا يُوهِم التشبيه؟

❏ **الوجه الرابع**: **إذا قال قائل**: العرب لم تفهم من كلمة (يد) إلا هذا العضو المعروف الذي هو جارحة في الإنسان؛ **نقول**: هذا الكلام غلط، بدليل أن في القرآن -وهو بلسان عربي مُبين- أُضيفت اليد إلى الملائكة، أليس الله ﷻ يقول: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأنعام:٩٣] إذًا الملائكة لها أيدي.

**والسؤال**: هل مَن يفهم لغة العرب سينصرف ذهْنه إذا سمع هذه الكلمة إلى أن يد الملائكة هي مثل هذه، متصفة بالجلد، والأظافر، والأصابع، والأعصاب؟ هل يقول قائل هذا؟ هي جزمًا ليست كذلك، لماذا؟ لأنَّ محل هذه الصفة مختلف؛ الملائكة من جنس آخر، نحن خُلقنا من طِين، والملائكة من نور، إذًا إذا قلنا إن للملائكة يدًا، هل هذا يقتضي التجسيم؟

أُعيد؛ هم يقولون: متى ما قلنا شيء موصوف باليد اقتضى هذا ولابد التجسيم؟

**نقول**: دَعْنا الآن من الكلام في صفة الله، دعْنا في الكلام في صفة مخلوق من مخلوقات الله وهو الملائكة؛ هل وصْف الملائكة باليد يقتضي التجسيم؟ لا يقتضي

التجسيم، لماذا؟ لأن الملائكة جنس آخر، وعليه هل الصحابة ﷺ لما قرؤوا هذا الكلام اعتقدوا في الملائكة التجسيم؟ **الجواب**: لا؛ لأنهم يعلمون أن الملائكة ليسوا من جنس بني آدم، فثبوت اليد للملائكة لم يقتضِ تجسيمًا، لأن محل الصفة مختلف؛ فإذا كان هذا في حق مخلوق، فكيف بالخالق؟ كيف تزعمون أنَّ إضافة اليد إلى الله ﷻ ستقتضي ولابد التجسيم، هي ما اقضتْه في حق ملَك من الملائكة، أليس كذلك؟

يعني: الله ﷻ وصف الملائكة بالقلوب أيضًا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ:٢٣]؛ هل يتوهم أحد أنَّ الملائكة لها قلوب مثل قلوب بني آدم، وبالتالي يكون الذي يفهم هذه الكلمة قد جسَّم؟ أو نقول: إن هذا القلب له كيفية وكُنْه وحقيقة مختلفة، لماذا؟ لاختلاف محل الصفات.

**المقصود**: أنَّ ثبوت صفة اليد وغيرها للملائكة ما اقتضى هذا تجسيمًا، ولا ينازع في هذا إلا مُباهِت ظاهر البهتان. وأقول وأُكرِّر: إذا كان هذا في حق مخلوق، ثبوت الصفة له ما اقتضى تجسيما، فلأَن يكون هذا في حق صفة الله ﷻ من باب أوْلى.

❑ **الوجه الخامس**: أنت تقول: «نحن لا نعقل يدًا إلا وهي جارحة، وإثبات هذه اليد لله ﷻ يقضتي التجسيم ولا بد»؛ نقول لك -وأقول هذا على سبيل التنزُّل-: أنت تُثبت لله ﷻ عِلمًا وقدرة وحياة، بيقين هذا المتكلم يثبت لله علم وقدرة وحياة، ونحن تنزّلًا لا نعقل مَن يتصف بالعلم والقدرة والحياة إلا وهو جسم، فإما أن تكون مجسمًا، أو أن تنفي عن الله ﷻ هذه الصفات.

**الآن هو يقول**: أنتم تثبتون اليد، إذًا أنتم مجسِّمة، **الحجة**: لا نعقل من يتصف

بهـذه الصـفات إلا وهـو جسـم، والعـرب لا تفهـم مـن كلمـة (يـد) إلا هـذا المعنـى المقتضي للتجسيم. **نقول**: والعرب لا تفهم أحدًا متصفًا بعِلم وقدرة وحياة إلا وهو جسـم، وأنـت تثبـت ذلـك، إذًا مقتضـى هـذا إما نفـي ذلـك، وسـتخرج إلـى التعطيـل المحض، وما أقرب قولك من قول الملاحدة، أو أن تكون مجسِّمًا، أو يهديك الله للصواب وتعرف منهج أهل السنة والحق.

❍ **فإن قال هذا القائل**: لا، أنتم تدخلون صفات مع معاني؟ **نقول**: الباب واحد، **بمعنى**:

۞ **أولًا**: إذا كانت اليد والوجه من الصفات، فالعِلم والقدرة والحياة من الصفات بالاتفاق بيننا وبين الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، كل هذه تُسمى صفات، وليس أن اليد والوجه فقط هي التي تُسمى صفات، بينما العلم والحياة لا تسمى صفات، هذا باطل، ولو شئْتُ أن أنقل عشرات النقول في هذا عن أهل السنة ومخالفيهم لفعلتُ، ما يختلفون في أنَّها جميعًا يُطلق عليه أنَّها صفات.

۞ **ثانيًا**: سلَّمنا جدَلًا أنها ليست صفات، **فنقول**: إن كان ثبوت العضو -ما تُسميه أنت عضْوًا أو جارحة- يقتضي التجسيم؛ لأنَّ العرب لا تعقل مَن هو متصف بالعضو إلا وهو جسم، **فإننا نقول**: وهذه أعراض، أنتَ تسلِّم أنَّها أعراض، الحياة والعلم والقدرة أعراض، والعَرَب لا تعرف ما تقوم به الأعراض إلا الأجسام، إذًا أنت ستكون مجسِّمًا إنْ اعتقدت أنَّ ربك متصف بالعلم والقدرة والحياة، وأيُّ جواب تُجيب به على هذا الإيراد هو جوابنا عليك في قولك.

❑ **الوجه السادس** -انتبه لهذه القاعدة فهي مهمة- **معرفة الكيفية لا تستفاد من**



**اللغة**؛ إنما معرفة الكيفية والكُنْه والحقيقة تستفاد من شيء آخر؛ من المشاهدة، من الحس، من التجربة، أما أن اللغة بمجرَّدها تدل على الكيفية فهذا ليس بصحيح، فهْمك للمعنى من جهة اللغة لا يستلزم فهم الكيفية، اللغة معرفتها لا توصل ولا تفيد معرفة الكُنْه والكيفية والحقيقة.

**بمعنى**: اللغة العربية تدل على -مثلًا- أن هذه الجملة (استوى على) تعني: العلو والارتفاع على الشيء، لكن هناك قدْرٌ أكثر أريد أن أعرفه وهو كيفية ذلك؟ **نقول**: هذا لا يعرف من جهة اللغة، ولذا إذا فهمت المعنى ستُدرك أن فهمك هذا لم يُفدْك في إدراك كيفية استواء إنسان على كرسي، أو استواء إنسان على دابة، أو استواء إنسان على سفينة، ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣]، أو استواء سفينة على جبل، ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود:٤٤]، لاحِظ معي هنا أن هناك استواء، واستواء، واستواء، وكل واحد من هذه له كيفية وهيئة، هيئتك وأنت مستوٍ على كرسي ليست كهيئتك وأنت مستوٍ على حصان، ليست كهيئتك وأنت مستوٍ على سفينة، فضلًا عن أن تكون هي هيئة استواء سفينة على جبل، إذًا معرفة الكيفية لم تُسعفك فيه اللغة، إنما استُفيدت الكيفية من شيء آخر.

أقول تأكيدًا على ما ذكرتُه آنفًا من أن معرفة المعنى من جهة اللغة لا يستفاد منه في معرفة الكُنه والكيفية والحقيقة؛ **أسألكم**: كلمة (جناح) لها معنى مفهوم في اللغة، أو أنها كلمة غير مفهومة؟ الذي يعرف اللغة العربية يفهم كلمة (جناح) ما معناها؟ لابد أن يعرف لها معنى. **والسؤال**: الملائكة عليهم السلام لهم أجنحة، ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١]، والسؤال: من خلال معرفتك للغة وزعمك

أنه بمعرفة اللغة تدرك الكيفية بيّن لي كيفية جناح الملائكة، ارْسُمها، حاول ترسم لي جناح الملائكة، هل أحد يجرؤ؟ **الجواب**: لا، ما السبب؟ أنه ما رأى الملَك، وعليه فلا يمكن أن يدرك الكيفية.

الله ﷻ أخبرنا أنَّ في الجنة فواكه ونخل ورمان، هل يستطيع أحد أن يذكر لنا الكيفية ويرسمها لنا، يرسم لنا الرمان في الجنة؟ مع أنَّ كلمة الرمان كلمة مجهولة لغة أو معلومة؟ معروفة، الذي يفهم لغة العرب يفهم معنى رمان، لكن الكيفية قدْر زائد على معرفة المعنى، لكننا هنا نقف ونُسلِّم، لماذا؟ لعدم المشاهدة.

إذا ثبت هذا في حق مخلوق، فكيف برَبِّ كل مخلوق ﷻ.

❑ **الوجه السابع**: القرائن المحتفَّة بإثبات صفة اليد لله ﷻ تدل دلالة قاطعة على أنها يدٌ حقيقة، وأنه يستحيل ادّعاء جهل المعنى فيها؛ بمعنى: تجد أنك إذا نظرت في النصوص وجدت أن يد الله ﷻ موصوفة بالقبض، وموصوفة بالبسط، وموصوفة بالعطاء، وموصوفة بالأخذ، وجاء ذكر الكف، وجاء ذكر اليمين، وجاء ذكر الشمال أو اليد الأخرى، في أشياء أخرى تتعلق بهذه اليد الكريمة.

**السؤال**: أَيُقال مع كل هذا إنها مجهولة المعنى؟ بلْ أَيُقال هذا ونبينا ﷺ كان يُحقق هذه الصفة بالفعل؟

في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «**يَأْخُذُ اللهُ ﷻ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ**»، قال الراوي وأظنه ابن عمر رضي الله عنهما: (فقبضَ النبي ﷺ أصابعه وبسَطَها)(٣)، وهذا ليس منه ﷺ تشبيهًا للصفة بالصفة، حاشا وكلا، إنما هذا كما يقول العلماء: من باب

(٣) صحيح مسلم (٢٧٨٨).

تحقيق الصفة، يعني أنها صفة حقيقية.

أَيُقال بعد هذا إن هذه الكلمة مجهولة المعنى، وأن من عرف المعنى وقع في التجسيم، فوقع في التشبيه؟ لا يمكن أن يُقال ذلك.

❑ **الوجه الثامن**: هذه الصفات (الوجه، واليد، والقدَم) وما إليها من الصفات لله ﷻ، إما أن يكون لها في نفسها معنى أو لا يكون؛ إما أن يكون لها في نفسها نفس هذه النصوص التي جاءت فيها هذه الصفات، أنه من الأصل هذه الكلمة لا معنى لها، وهذا لا يجرؤ أحد على أن يدّعيه، فهو ظاهر الاستحالة.

**أو يقول**: إنَّ لها معنى، ولابد له أن يقول هذا؟

**فنقول**: إن كان لها معنى، فإما أنه يمكننا معرفته، أو لا يمكننا معرفته، لها معنى ولا يمكننا معرفته.

**والسؤال**: إذا كان هذا المعنى لا يمكن ولا سبيل لنا بحال أن نعرفه، ما فائدة إخبارنا به؟ ما فائدة إخبارنا به في كتابٍ موصوف بأنّه بيانٌ وتِبيان ومُبين ونور مُبين، وبأنه أحسن تفسيرًا، وبأنه يهدي للتي هي أقوَم؟ ما فائدة إخبارنا به وهو لا سبيل إلى العلم به بل هو مُوهِمٌ لأمرٍ عظيم وهو التشبيه والتكفير؟ ما فائدة إخبارنا به من لدُن رسول الله ﷺ الذي هو الرؤوف الرحيم بهذه الأمة، والذي ما بُعث إلا للبيان، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ والسَّبب: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم:٤]، فوظيفة النبي ﷺ البيان، فما فائدة إخبارنا بهذا الكلام وهو مما لا سبيل إلى العلم بمعناه مع أنه كثير في النصوص؟! نصوص الصفات -يا جماعة- ليست آية واحدة أو حديثًا واحدًا، هذه بالمئات بل أكثر، وكل هذه ما فائدة إخبارنا بها؟

سبحان ربي العظيم! أعظم ما في القرآن وهو المطالب الإلهية على مقتضى قولهم نُخبر بها ولا معنى لها ولا فائدة من إخبارنا بها، اللهمَّ إلا تعريضنا للضلال؛ هذا ظنهم برب العالمين، وهذا ظنهم برسوله ﷺ.

أَتَرَون النبي ﷺ يخبر بالأحاديث الكثيرة التي فيها ذكر اليد، وفيها ذكر الكفّ، وفيها ذكر الأصابع، وفيها وفيها وفيها، وهو نفسه ما يدري معناها؟! والصحابة الجالسون أمامه لا يفهمون منها شيئًا، أَيُظَنُّ هذا؟ والله لا يُظن هذا البتَّة. ومع كل هذا مطلوب ألَّا نفهم المعنى، والنبي ﷺ لا يحذر ولا يبين ولا يُنبّه ولا مرة! هل تأتِ الشريعة بمثل هذا؟ إخبارهم بما لا فائدة فيه، بل إخبارهم بما يعرّضهم للضلال، ثم لا يأتي بيان ولا تحذير، ولا يقال لهم: كُفُّوا عن التفكر في المعاني؛ هذا لا يمكن أن تأتي به الشريعة.

❑ **الوجه التاسع**: زعَم الزاعم أن كلمة (اليد) مجهولة المعنى، هذا الكلام باطل من وجوه -انتبه الآن سندخل في الوجوه التفصيلية لهذا الوجه-.

❍ **أولًا**: قولك (إن هذه الصفة مجهولة المعنى) ومثلها بقية الصفات؛ هذا باطل من وجوه:

۞ **أولًا**: أن الله ﷻ أمر بتدبّر كتابه كله، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، والتدبّر فرْع عن معرفة المعنى، لا يمكن أن تتدبر شيئًا تجهله.

۞ **ثانيًا**: النبي ﷺ مدَح من يتدارس كتابَه، «**وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**»(٤)، وما قال ﷺ: «ويتدارسونه إلا آيات الصفات؛ هذه

(٤) صحيح مسلم (٢٦٩٩).





محرم تدارسها، أو التفكير في معناها»، تعرفون رواية هكذا؟ والله ما جاءت.

۞ **ثم أمر ثالث**: أن الله ﷻ جعل كتابه ميسرًا للذكر، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر:١٧].

۞ **الأمر الرابع**: أن الله ﷻ جعل كتابه بِلسانٍ عربيٍ مُبينٍ ليُعقَل، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢] إذًا إنما أُنزل بهذا اللسان لأجل أن يُعقل ويُعلم، وهؤلاء يقولون: لا، أشرف ما فيه لا سبيل إلى العلم به.

۞ **الأمر الخامس**: أن الله ﷿ رحيم بعباده، حكيم يبين لهم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء:٢٦]؛ إذًا يمتنع مع هذا الوعد من الرحيم ﷻ أن تكون طائفة كبيرة من الآيات مجهولة وظاهرها يُضِل، هذا ليس ممن يريد البيان، هذا ممن يريد الإضلال، وحاشا وسبحان ربنا من ذلك.

۞ **الأمر السادس**: النبي ﷺ هو الرؤوف الرحيم بهذه الأمة، هو لنا مثل الوالد يعلمنا، قال ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا لكُمْ مِثْلُ الوَالِدِ أُعَلِّمُكُم**»(٥)، أَتَرى الوالد يخبر بكلام يضل ابنه ويرميه على شفا هلَكَة ولا يبين له؟ أحد يظن في أبيه هذا؟ لا والله، ما في الأب من الرحمة والشفقة يمنعه من ذلك، والنبي ﷺ أرحم بِنَا، فأين بيانه ﵇ وأين تحذيره؟ أين إخباره إن إثبات اليد يفيد التجسيم، والتجسيم يفيد التشبيه، فحذارِ من التفكر في المعنى؟ أين هذا؟ ما كان منه ﵊.

۞ **الأمر السابع**: أنَّنا نجزم أن حرص الصحابة ﷺ على ضبط المعاني في

---

(٥) سنن أبو داود (٨)، وسنن الترمذي (٤٠).

القرآن وفي السنة أعظم من حرصهم على ضبط الحروف؛ لأن المقصود هو المعاني التي تحت هذه الألفاظ. أَتَرَون الصحابة أشد شيءٍ حرصًا على ضبط وإتقان حروف جوفاء ما تشتمل على أيّ معنى؟ هذا لا يُظن بأصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم.

۞ **الأمر الثامن**: أنَّنا نعلم من عادتهم وطريقتهم حمْلَ النصوص على ظاهرها، إذا سمعوا النص حملوه على ظاهره، والأمثلة كثيرة، دَعْني أعطيك مثالًا واحدًا: النبي ﷺ قال -كما في الصحيحين- لأُمَّهات المؤمنين: «**أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا**»(٦)، ماذا فعل أُمهات المؤمنين رضي الله عنهن؟ صاروا يمدُّون أيديهم ليَروا مَن أطول يدًا منهُنَّ.

هذه الطريقة تدلك على ماذا؟ على أنهم يحملون النصوص على ظاهرها، حتى جاء البيان بعد ذلك وعُرف ما الذي أراده النبي ﷺ، إنه الطول المعنوي وليس الطول الحسي، يعني: الأكثر إنفاقًا؛ لأن الإنفاق غالبًا يكون باليد.

۞ **الأمر التاسع**: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا استشكلوا شيئًا سألوا رسول الله ﷺ وما توقفوا؛ لو كان إثبات اليد، والوجه، والنزول، والاستواء لله جل وعلا مُشكِلة، لماذا ما سألوا رسول الله ﷺ؟ ما الذي منَعَهم وهم في أمورٍ دون هذا في الأهمية كانوا يسألون!

خُذ مثلًا: في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ الله جل وعلا يقول عن الكفار: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ

(٦) صحيح البخاري (١٤٢٠)، وصحيح مسلم (٢٤٥٢).

وُجُوهِهِمۡ﴾ [الإسراء:٩٧] يمشون يوم القيامة على وجوههم، قال: كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ هذا موضع استشكال، فقال النبي ﷺ: «**أَليسَ الذي أمشاه على رِجلَيه في الدنيا قادرًا على أن يُمشيَه على وجهه يوم القيامة؟**»(٧)، ما الجواب؟ بلى بالتأكيد؛ إذًا من عادة الصحابة رضي الله عنهم أنهم يستشكلون.

في «صحيح مسلم» لما سمعت حفصة رضي الله عنها من رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ -إنْ شاءَ اللهُ- مِن أصْحابِ الشَّجَرَةِ أحَدٌ، الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَها**» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهَرَها عليه الصلاة والسلام، فقالت: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم:٧١](٨). الذي فهمتْه أن الوُرود يقتضي الدخول، فقالت: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، إذًا استشكَلَت حديثه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يخالف ما استقر عندها من العلم، فبادرت إلى إبداء الاستشكال، فبين لها النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم:٧٢]، يعني أخبرها النبي ﷺ أن النجاة من الشر تقتضي القُرب منه لكن لا تستلزم الوقوع فيه، والله عز وجل يُنجي أهل الإيمان بعد أن يقاربوا الدخول في النار من خلال المرور على الصراط، فيَسْلموا؛ يُسلِّم الله عز وجل من شاء.

**الشاهد**: أن من عادة الصحابة أنهم يستشكلون، وما استشكلوا نصًّا واحدًا من نصوص الصفات، مع أن المستقر عندهم أن الله ليس كمثله شيء، ثم جاءتهم عشرات بل مئات بل ربما أكثر من نصوص الصفات وما استشكلوا منها واحدًا، لماذا؟ أَليسوا عربًا يفهمون الكلام ويُدركون معانيه؟ إذًا دل هذا على أنه لا استشكال

---

(٧) صحيح البخاري (٦٥٢٣)، وصحيح مسلم (٢٨٠٦).

(٨) صحيح مسلم (٢٤٩٦).

أصلًا، وأن إدراك المعنى لا يستلزم ما زعموا من التجسيم المؤدي إلى التشبيه المؤدي إلى الكفر، والعياذ بالله.

۞ **الأمر العاشر والأخير وهو مؤكِّد لِما سبق**: أن الأصل في الصحابة أنهم أهل لسان وذكاء، وأنهم يدركون المعاني، وأنهم يأنفُون من الجهل، وأنهم أحرص شيء على العلم؛ فإذا جمعت هذا إلى كونه ﷺ كان يحثهم على التدبر والتفكر، إذًا نحن نقطع أن الصحابة فهموا معاني نصوص الصفات، والذي يقول بخلاف هذا هو المطالب بالدليل.

❑ **قد يقول قائل**: لماذا الصحابة ما تكلموا في تفسير هذه المعاني، ما وجدنا أنهم قالوا تفسير اليد كذا، وتفسير القدَم كذا، وتفسير الوجه كذا؟

**الجواب عن هذا من وجهين:**

۞ **أولًا**: أن نقول: ليس من عادة العرب العَرباء أن يفسروا كل شيء؛ هذه الواضحات لم يكن العرب يتشاغلون بتعريفها، لِمَ؟ لأنها في غاية الوضوح، والتفسير عندهم يتبَع الحاجة، متى ما وُجدت الحاجة فسّروا، ولذلك ما تجد عند العرب في كلامهم أنهم يقولون: البطن هي كذا، والقدم هي كذا، والساق هي كذا، والأظافر هي كذا، والشَّعر تعريفه كذا وكذا، هذا تعرفونه من طريقتهم؟ ليس من طريقتهم. لمَّا دخلت العُجمة واختلطت الألْسن ربما تجد من المتأخرين من يتكلم في هذا، لكن العرب ما كان هذا من طريقتهم.

۞ **الأمر الثاني**: نسألكم أين تفسير الصحابة رضي الله عنهم لمعنى (العلم والقدرة والحياة) التي تثبتونها لله؟ أنتم تزعمون أن عدم كلام الصحابة في تفسير معنى الوجه

واليد يدل على أنهم ما فهموا لها معنى؛ نقول: وهل وجدتم عن الصحابة تفسيرًا لمعنى (العِلم والحياة والقدرة)؟ الجواب بالتأكيد: لا، وأيّ جواب تُجيبون به على هذا نجعله نحن جوابًا عليكم.

❑ **الوجه العاشر والأخير** -عُدْنا إلى الوجوه الأُولى، وبه أختم كلامي-: أن هذا النهج الذي زعموا نهجٌ باطل قطعًا، لِمَ؟ لمخالفته ما عليه السلف الصالح بالإجماع؛ فإن السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ كانوا يفهمون معاني نصوص الصفات ويفوّضون العلم بكيفيتها، يكفّون عن الخوض في الكُنْه والحقيقة، لكن المعاني بالنسبة لهم واضحة.

وفي هذا مقالات، لكن أذكر مقالة أو مقالتَين: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام رَحِمَهُ اللَّهُ ثبت عنه -كما روى هذا غير واحد، ونقله الذهبي في «العُلُو»- أنه ذكر بعض أحاديث الصفات ومنها (ضحكه تعالى) إلى آخره، قال: «ولكن إذا قِيل لنا: كيف وضع قدمَه؟ -لاحِظ أن القضية تدُور عنده على الكيف- كيف وضع قدمَه؟ وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره»؛ لاحِظ أن التوقف عندهم عن التفسير إنما كان في شأن الكيفية، وليس في أصل المعنى.

والأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «**كُنَّا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرْشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من صفاته**»(٩)، ونحن نجزم أنه ما أراد إيمانًا بألفاظٍ جَوفاء، إنما هو إيمان بالألفاظ والمعاني.

ويكفينا في هذا أثر الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وبه أختم كلامي، وقد تلقَّاه أهل السنة

---

(٩) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠٤) ط. مكتبة السوادي، جدة.





جميعًا بالقبول، لما قِيل له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ قال: «**الاستواء غير مجهول**»، وفي رواية: «**الاستواء معلوم، والكيف غير معقول**»، وفي رواية «**والكيف مجهول**»، «**والإيمان بذلك واجب، والسؤال عن هذا بدعة**»(١٠).

والله ﷻ أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١٠) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (٢/ ٣٠٥) ط. مكتبة السوادي، جدة.


